دليلة

١ ــ رحلة المساء

كأن وجهكِ القمرْ
عيناكِ تفضحان رغبة تعذب البشر
ثدياكِ هضبتان
مكسوتان ثوب نرجس وأقحوان
وقمّتاهما برجان شامخان
بحربة الهوى يقاتلان
لم يبقيا مودة على رفيقْ !

. . .

عبرتْ يا جميلةُ النساء منحنى الطريق
في الوحل غاصت الخطى
الطين فوق نصف هامتي ، ومعطفي مطر
الليلُ جوف قبر
حراسه الغلاظ يرضعون ثدي شر !

. . .

دخلت قرية فلم تمد كفّها
لعابر ، وأحكمت رتاجها
ونام بين أذرع النساء خائفا صغيرها
وقالت النجوم : انه الغريب
يعود هائما بلا حبيب !

. . .

الجند في الطريق ساهرونْ
وفي أزقة الظلام يعبرون
وينبشون كالذئاب قبر ميّتٍ قديم
آذانهم عيون !
سلاحهم عيون !
وينصبون للمسافر الكمين
أصابع الردى تشير « قد أتى شمشون » !

. . .

لبست يا خليلتي القناعْ
أطلت خطوتي .. وسرت خلف حائط
قديم
عبرت أبعد التخوم
وقد نزلت في محلة الرعاةْ
أكلت خبزهم بلا ادام
وقال لي كبيرهم : « لقد أتى الجباة
ولم يعد ببيدر الحصاد كيل حَبْ
الماء عن كرومنا نضب
ومات في حقولنا القطيعْ
وكالخريف أطفأ الجفاف بهجة الربيع
وصاح في الرعيّة النبي
من قلبه المعذب :
يا ويل درة الاله أورشليم
ان ظل يقطع الغريب ماء نهرها عن الحقول
وأسقط الخريف من يد المحارب الحسام
وظل طفلها بدون مولد لالف عام ! »

٢ ــ موتى بلا قبور :

وتحت سقف بيتك المعطر
ثملت يا جميلة النساءْ
الخمر يهتك الحياء
الطيب فوق نهدك استثار ما بداخلي،
فمزقت أصابعي غلالة الرداء !

. . .

بحّار « فينيقيا » قضى على مضاجع النساءْ
ونام في صقيع قبره بدون أصدقاء
ولم يسر وراء نعشه الرعاة
قد أنكرته طفلتاه
لكنه ما زال كل ليلة يموت
على صخور شاطىء بعيد
ويدفنونه بجوف حوت !

. . .

العذر ، قد نسيت ان ارد بابنا
وراءنا
وأسدل الستائر المعطرة
نسيت يا أميرتي .. فمعذرة !!

٣ ــ في المخدع :

بكيت فوق ساعدي
بكاء ثاكل
تلألأت على الخدود دمعتاكْ
كشمعتين في مشكاة هيكل
وقلت لي :
« طرقت باب قلبك الشجاع
فردني سياجه كأنه ذراع
اله أورشليم !
ما زال حول قلبك الحذر
كحائط عظيم
وفي فمي تعثّر السؤال
فأنت أيها الخليل قد مللتني
وأنت لا تحبني !
لقد تقحّمتْ خطاك حصن منبعي
كأي عابر
أتى به الى محلتي الظمأ ..!
وقلت لي :
« مساؤنا معا وراء هذه الستائر المزوقة
كؤوسنا معتّقة
سريرنا كساؤه حرير مصر
وأنت معطفي الى نهاية المساء !
طرزت بالهوى مساند اللقاء !
طيّبت عندما دخلت ضحكتي !
نسجت سحر كلمتي
غطاء مضجعي
وقد حملت فرحة الحبيب بين أضلعي
كطفل عاقر مقدس !
وأنت لا تجب في غير ملمسي !
وقلت لي :
« تذوب مثل شمعة اذا خلعت في سريرنا الازار
تمل أيها الحبيب لحظة انتظار
أكون بين ساعديك أعذب النساء
فأنت لا تحب غير تيه نهد
يفر بين راحتيك ، واحمرار خد
ينام كالجريح بين شوك ورد
وقبلة تقول انها العسل
وعند اخر المساء ترتمي بجانبي ،
كالطفل بين أذرع الكسل !
وقلت لي :

« وعندما يكاد ان يبوح بالذي يدور بيننا السحر
وينشر الخبر
كالريح في مجالس المقدسين والشيوخ
أراك تلبس القناع في حذر
تنثل في الطريق حين يغطس القمر ونفترق
وفوق مضجعي خطيئتي
ككومة من التراب تحت رأس ميّتٍ !!
وقلت لي :
« تشير نحو منزلي أصابع وتسأل العيون
القادم الليلي من يكون ؟!
وقلت لي :
أهكذا نظل نلتقي ونفترق
وأفرش الغرام تحت كرمتي لنحترق
بنار عشقنا الى نهاية المساء
وفي الحقول يهمس الرجال والنساء
(يجيئها الغريب !)
ويطلقون ألف حية على حديقتي
وليس لي هنا حبيب ؟!
وقلت لي :
« من أنت أيها الذي يدق باب مخدعي
وينفق المساء ماجنا على ذراع مضجعي
ويترك الهوان كالجنين بين أضلعي ؟! »

٤ ــ كلمة الرب :

فقدت معطفي ، ولم يعد بحقلنا حطب
يرد رعشة الشتاء
وقد أتيت سائلا مبيت ليلة
بمضجع اشتهاء
وكل ما لدي « شاقل » كنزته بموسم الحصاد
خذيه يا جميلة النساء !
. . .
أتضحكين ..
من « شاقل » ثويته الى جوار شاقل الاله
السر كلمة الاله
وفيه نبضة الفؤاد ، انه الحياة !
السر ان يقل
ان شاع يا دليلتي أصير عابرا بدون ظل
ولا تضمني مجالس الرعاة
بشاقل يبيع جائع أخاه !
لكنني اتخذتك الحبيب والمسيح
وضعت تحت ردفك الشهي معطفي
الجريح !
لقد أتيت هائما وجند قيصر ينقبون
في الليل عن خطاي .. من أكون ؟
وأصبع الردى يشير : انه شمشون !
في الوحل غاصت الخطى
جواد رحلتي كبا
جرحت ، لم يقل تعال عندنا حبيب
وقالت النجوم : انه الغريب !
وقد أتيت هاهنا بدون ساق
تركتها بجوف ذئب
فأنت مخدعي
وأنت رعشة الغرام بين أضلعي !
وأنت ــ بعدما غوى القضاة ــ هيكلي
وفرحتي !
لقد شربت من شفاهك العسل
تركت خلف بابك الجنود والملل !!

٥ ــ ساعة الموت :

ــ ١ ــ

أسقيتني هواك يا دليلتي الى الثمل
سكرت من عذوبة القبل
وعندما غفوت كالصغير بين أذرع الكسل
فتحت منجمي
نظرت في مرآة مذبحي
رأيت سر قوتي
فصرت فارسا بلا كتيبة ولا سلاح !
وبعتني الى الشيوخ قبل مطلع الصباح !

ــ ٢ ــ

بهذه النهود قد سبيتني
خدعتني !
كالثور عصّبت عيناي بالعمى !
تشقق اللسان من ضراوة الظما
والنهر ماؤه ببعد خطوتين !
القيد حول معصمي ..
أنا بلا يدين !

ــ ٣ ــ

الكاهن العظيم عندما أعود
لبطن أمنا الولود
حذار ان يقيم فوق نعشي الصلاة
لقد عصى وصية الاله
وفي معابد اليهود يشترى العدل ، صار كاهن الامير تاجرا
يبيع للارامل البخور
الكاهن العظيم يسرق النذور !!

ــ ٤ ــ

الريح ولولت على مفارق الطريق
ولن يمد عابر يدا لفارس غريق
القائد الشجاع مات وحده بلا رفيق
وأنكر الصديق !
يا ويل درة الاله اورشليم !
يا ويل درة الاله اورشليم !
ان أسقط الخريف من يد المحارب الحسام
وظل طفلها بدون مولد لالف عام
يا ويلها ان ضل جيش «ارميا» العظيم
وطال أسره ،
وظل نائما على ذراع حزنه اليتيم !!

٦ ــ الخلاص :

أحس ان سروتي تدب في فروعها الحياة
صفصافتي تمد ظلها على جداول المياه
ليستريح تحتها الرعاة !
. . .
يا أيها المعذبون والرعاة
هنالك افتحوا قلوبكم فتسمعوا نداه
يجيء في محفة الخلود سيدي
الخير في يد
وكلمة الخلاص كالطبيب في يد
ويترك الصليب ، هذه خطاه
تعمّد المعذبين
أمام نوره العظيم خفّضوا الجباه
لانه على الرؤوس يسقط الجدار
فنحن ساجدون في هياكل العصاة !
شيوخ قومنا عصاة !
لتفرحوا . تباركوا . ضياء سيدي أراه
وهذه خطاه
تعمّد المعذبين في محلة الرعاة
وتنزع النساء عن خدودهن ،
طين حزنهن عند مطلع النهار
لانه من القبور
سيبعث المسيح شعلة الحياة في الصغار !!

القاهرة — **مختار النادي**